وراح ينحدر من صدر الجبل وقد حشا بندقيته بوجبة الطعام الاخيرة ... كان كمن يبحث عن صيد ، لا لفمه ولكن لبندقيته ...

انه يتذكر الان ، كل رسائله الى قيادته ، ويتذكر ايضا تفاصيل العمليات «الـ ٥٢ »، التي قام بها ، يتذكر وجه أبيه بعد صدور الحكم عليه ... ووجه أمه وأختيه ، بعد ان نسفوا البيت للمرة الثانية ... ويتذكر راعي الغنم « ابو علي » ، الذي كان طموح حياته ، ان يمتلك « راديو ترانزستور » ، وها هو الان بعد أن امتلك الراديو ، يبحث له عن بطاريات جديدة ... وربما يقتل قبل ان يجدها ... ويظل الراديو ... بلا صوت ... تماما كما هو يبحث الان ، عن « بطارية جديدة » ... لبندقيته ... عن رصاص جديد ...

● ●

عربة دورية اسرائيلية ، يرتفع دوي محركها ... ويكمن باجس ابو عطوان خلف صخرة وينتظر ، يأخذ كطائر الشنار ، لون طوب الارض وينتظر ...

وتقترب عربة الدورية ... وينتظر ... انه لا يملك غير ما حشا به بندقيته ... ولو قتلهم جميعا ... لتمكن من الاستيلاء على بنادقهم وذخيرتهم ... وكان عليه ، ان ينتظر اكثر ...

وأصبحت عربة الدورية على مرمى مائة متر من بندقيته ، كانت الدورية تتألف من ضابط وثلاثة جنود ...

آه ، لو كانت معه قنبلة يدوية ... ولكن لا القلب يتحول الى قنبلة ، ولا العين تتحول الى رصاصة ...

عربة الدورية تقترب أكثر ، وهـذه هي فرصته الاخـيرة ... والحقد يتجمع في الاصبع ، كما تتجمع الكهرباء في الشلال ...

... وتنطلق الرصاصة الاولى ... وتخترق صدر السائـق ... فيسقط فوق المقود ... وتترنح العربة ... وتندفع ... وتصطدم بصخرة ... وتتوقف ... وتنطلق الرصاصة الثانية ... ويسقط الضابط ـ الى جوار السائق ـ نصفه في داخل العربة ... ورأسه يتدلى فوق الارض ...

لقد بقيت رصاصتان ... ويخـرج ... من خلف الصخـرة ويقترب أكثر ... رصاصة لكل جندي ... لو خدمه الحظ ...

مطر من الرصاص ... يتساقط حوله ... ثم يحس باجس أبو عطـوان ، ان عاصفة من النيران تلفه ... ويتراجع ... كان يحس بالدم ... يكاد يتفجر مـن عينيه ... ومطر الرصاص يلاحقه ... كان كالسحابة التي تمطر فوق رأسه ...

ويظل يتراجع ... ويتراجع ... بين الصخور ... انه يعرف الطريق جيدا الى تلك المغارة ... تلك الطريق التي مشى فيها مئات المرات ... المغارة التي حفرها بيديه ...

لم يكن يدري ، لماذا كل هذا الاصرار على التراجع ، وهو يعرف انـه ينزف حتى الموت ... ، لقد كان يريد ان يموت في بيته ، في داخل تلك المغارة التي عاش فيها أربع سنوات ...

ويواصل التراجع ... بين الصخور ... فوق جراح الرصاص في صدره ... فجراح الاشواك في يديه ... وفي ساقيه ...